

البداية والنهاية

قال ابن اسحاق وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن قريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيع قال فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمة فيه بدو وأنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال رسول الله ﷺ يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته قال ثم استعبر رسول الله ﷺ فيك ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي فاقبل عليه رسول الله ﷺ فقال اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمتك لشيء أبدا قال ابن اسحاق ثم أن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه واجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغني يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله فخذة فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أعلامنا فنقتله وإنما هو رجل برجل قال والله ما تسوموني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني فتقتلونه هذا والله ما يكون أبدا قال فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا فقال أبو طالب للمطعم والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك أو كما قال فحقب الأمر وحميت الحرب وتنازى القوم ونادى بعضهم بعضا فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سأله وما تباعد من أمرهم ... ألا قل لعمرى والوليد ومطعم ... ألا ليت حظي من حياطتكم بكر ... من الخور حباب كثير رغاؤه ... يرش على الساقين من بوله قطر ... تخلف خلف الورد ليس بلاحق ... إذ ما علا الفيفاء قيل له وبر ... أرى أخوينا من أبينا وأمنا ... إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر ... بلى لهما أمر ولكن ترحما ... كما حرجمت من رأس ذي علق الصخر ... أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا ... هما نبذانا مثل ما نبذ الجمر ... هما أغمزا للقوم في أخويهما ... فقد أصبحا منهم أكفهما صفر ... هما أشركا في المجد من لا أباله ... من الناس إلا أن يرس له ذكر